﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾ [الزمر: 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

ذِكرُ حالِ الملائكةِ بعدَ ذِكرِ جزاءِ الإنسِ

لمّا ذَكرَ اللهُ تعالى منزلةَ المُؤمنينَ ومكانتَهم بالتَّبوُّؤِ من الجنَّةِ حيثُ يَشاؤونَ؛ أرادَ أن يبيِّنَ منزلةَ النَّبيِّ ﷺ العاليةَ ومكانتَهُ العظيمةَ، فذكر أنَّه في أعلى مكانٍ وأعظمِ مقام؛ إذ يرى الملائكةَ حافّينَ من حَولِ العرشِ مُستغرقينَ بالتَّسبيحِ والتَّقديس للمولى الجليل تعالى[1].

وهنالك مناسبةٌ أيضًا بينَ ذِكرِ زُمَرِ الكافرينَ وجماعاتِهم وأحوالِهم، وذكرِ زُمَرِ المُؤمنينَ المُتَّقينَ ووفودِهم وأمورِهم، وذكرِ زُمَرِ الملائكةِ وأحوالِهم وأوضاعِهم في ذلك اليوم، وأشار الرّازي إلى وجهِ التَّعقيب بين حال المتَّقين وحال الملائكة، بقوله: "كَما أنَّ دارَ ثَوابِ المُتَّقينَ المُؤمنينَ هيَ الجَنَّةُ، فَكَذَلِكَ دارُ ثَوابِ المَلائِكَةِ جَوانِبُ العَرْشِ وأطرافُهُ"[2]، ولا يبعُدُ أنَّ الزُّمَرَ ثلاثٌ: جماعةُ الكافرينَ، وجماعةُ المؤمنينَ وجماعةُ الملائكة، ولا يخفى أنَّ تعقيبَ الزُّمرتينِ بذكرِ زمرةٍ همُّها التَّسبيحُ والتَّقديسُ لله ربِّ العالمين فيه إجلالٌ عظيمٌ بالحَكَم الفَصْل تعالى، وإظهارٌ لاستغنائِهِ عن مَخلوقاتِهِ المُؤمنةِ وغيرِها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَآفِّينَ﴾: (حفف) أصلٌ يدلُّ على الإحاطةِ بالشَّيءِ من جوانبِهِ[3]، ومِن ذلكَ يقالُ: حفَّ القومُ بسيِّدِهم، أي: أطافوا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 74.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 480.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حفف).

بهِ، وعَكَفوا[1]، ويَحُفُّ: يُسمَعُ لهُ حفيفٌ[2]، والمُحفَّفُ: الضَّرعُ الممتلِئُ الَّذي لهُ جوانبُ[3]، و﴿حَآفِّينَ﴾، أي: مُحدِقينَ ومستديرينَ وكائنينَ بجوانبِهِ[4]، حتَّى يُسمَعَ لهُم صوتٌ بسببِ كثرتِهم، ومعنى حافّينَ في الآية: أنَّ الملائكةَ يُحيطونَ بالعَرش طَوافًا حتى يُسمعَ لتلك الحالةِ صوتُ الحفيفِ؛ دلالةً على كثرةِ الطّائفينَ بالعرش.

2) ﴿حَوْلِ﴾: (حول) أصلٌ يدلُّ على تحرُّكٍ في دَوْرٍ، فالحَوْلُ: العامُ؛ لأنَّهُ يَحولُ، أي: يدورُ[5]، والحَوْلُ أيضًا: السَّنةُ اعتبارًا بانقلابِها ودَوَرانِ الشَّمسِ في مَطالعِها ومَغاربِها، وحَول الشَّيءِ: جانبُهُ الَّذي يمكنُهُ أن يَحولَ إليهِ، وقد يقالُ: حَواليكَ، وحَولَيكَ، ويرادُ الإحاطةُ مِن كلِّ وجهٍ[6]، والحَوْلُ في الآية بمعنى الجانبِ المحيطِ بالعَرْشِ.

3) ﴿ٱلْعَرْشِ﴾: (عرش) أصلٌ يدلُّ على ارتفاعٍ في شيءٍ مبنيٍّ، ثمَّ يُستعارُ في غيرِ ذلكَ[7]، ويظهرُ مِن استعمالاتِهِ الدَّلالةُ على القوَّةِ والمتانةِ، ولذا يُسمَّى بالعرشِ: سريرُ المَلِكِ[8] اعتبارًا بعُلوِّهِ، ويُسمَّى بهِ أيضًا: السَّقفُ، والبيتُ، والأركانُ، والبناءُ[9]، ويُكنَّى بهِ عن العزِّ والسُّلطانِ والمملكةِ، فيقالُ: فلانٌ ثُلَّ عَرْشُهُ[10]؛ إذا زالَ عِزُّهُ وسلطانُهُ، وعَرْشُ اللّهِ ممّا لا يعلمُهُ البشرُ إلّا بالاسمِ لا على الحقيقةِ[11]، أو هو اسمٌ لعالَمٍ يحيطُ بجميعِ السَّماواتِ، سُمّيَ عرشًا؛ لأنَّهُ دالٌّ على عظمةِ اللّهِ تعالى، كما يدلُّ العرشُ على أنَّ صاحبَهُ مِنَ الملوكِ[12].

4) ﴿وَقُضِيَ﴾: (قضي) أصلٌ يدلُّ على إحكامِ أمرٍ وإتقانِهِ[13]، ومِن ذلكَ: قولُهُ تعالى:

(1) الخليل، العين: (حفف).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (حفف).
(3) ابن سيده، المحكم: (حفف).
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 147، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 287، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 74.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حول).
(6) الزبيدي، تاج العروس: (حول).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرش).
(8) الخليل، العين: (عرش).
(9) الزبيدي، تاج العروس: (عرش).
(10) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات: (عرش).
(11) الزبيدي، تاج العروس: (عرش).
(12) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 249.
(13) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قضي).

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: 12]، أي: أحكمَ خَلْقَهنَّ[1]، والقضاءُ: فصلُ الأمرِ قولًا كانَ ذلكَ أو فعلًا[2]، يقالُ: قضَى القاضي بينَ الخصوم، أي: قطعَ النِّزاعَ بينَهم[3]، والمرادُ بالقضاءِ هنا: القضاءُ بينَ الخلقِ بإدخالِ بعضِهم النّارَ، وبعضِهم الجنَّةَ، أو بينَ الملائكةِ بإقامتِهم في منازلِهم على حسَبِ تفاضلِهم[4].

5) ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾: (حقق) أصلٌ يدلُّ على إحكامِ الشَّيءِ وصحَّتِه[5]، وتمكُّنِه في مَقَرِّه[6]، ومِن ذلكَ قولُهم: ثوبٌ مُحقَّقٌ؛ إذا كانَ مُحكَمَ النَّسْجِ[7]، وحَقَقْتُ العُقْدةَ، أي: أحكمتُ شَدَّها[8]، وحقَّ الشَّيءُ؛ إذا وجبَ[9]، والحقُّ: نقيضُ الباطلِ، أي: الشَّيءُ الثّابتُ الرّاسخُ المتمكِّنُ[10]، وهو المرادُ هنا[11].

6) ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: (علم) أصلٌ يدلُّ على أثَرٍ بالشَّيءِ، يتميَّزُ بهِ عن غيرِه، ومِنْ ذلكَ: العلامةُ الَّتي تُجعَلُ على الشَّيءِ لتمييزِه عن غيرِه، ومنهُ أيضًا: العالَمونَ، أي: الخلائقُ كلُّها؛ لأنَّ كلَّ جنسٍ مِنَ الخَلْقِ فهوَ في نفسِه مَعْلَمٌ يتميَّزُ عن غيرِه[12]، ويُطلَقُ العالَمونَ أيضًا على العُقَلاءِ مِنَ الجنِّ والإنسِ، أو الجنِّ والإنسِ والملائكةِ[13]، والمرادُ بالعالَمينَ في الآيةِ: الخلائقُ كافَّةً.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جاءتِ الآيةُ الكريمة مُبيِّنة أنَّ اللّهَ تعالى يخاطبُ نبيَّهُ أو مَن يتأتّى منهم الرُّؤية، فيقولُ: وترَى الملائكةَ محيطينَ بجوانبِ العَرْشِ، قائمينَ بجميعِ ما يُطلَبُ منهُم، فيُسمَعُ

(1) الخليل، العين: (قضي).
(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (قضي).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (قضي)
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 265.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حقق).
(6) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (حقق).
(7) الجوهري، الصحاح: (حقق).
(8) الزبيدي، تاج العروس: (حقق).
(9) الخليل، العين: (حقق).
(10) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (حقق).
(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 296.
(12) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة: (علم).
(13) الزبيدي، تاج العروس: (حق).

لهُم صوتُ التَّسبيحِ والتَّعظيمِ والتَّقديسِ؛ شكرًا لربِّهم وتنزيهًا لهُ عن كلِّ نقصٍ، وقد حكمَ بالعدلِ بينَ الخلائقِ، ونطقَ الكونُ أو العبادُ أو الملائكةُ بالحمدِ للّهِ ربِّ العالمينَ في حُكْمِهِ وعدلِهِ[1].

اللـهُ أحكـمُ الحـاكـمـينَ في عدلِهِ وقضائِهِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَتَرَى﴾:

الظّاهرُ أنَّ الواوَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾؛ لعطفِ هذهِ الجملةِ على ما قبلَها، وهي مندرجةٌ في سياقِ الجُمَلِ الَّتي تتحدَّثُ عن أحوالِ يومِ القيامةِ[2]، والغرضُ من هذهِ الجملةِ بيانُ حالِ المَلائكةِ في ذلكَ المشهدِ العظيمِ، الَّذي حكمَ اللّهُ تعالى فيهِ بينَ العبادِ، وبيَّنَ مصيرَ كلٍّ منهُم.

بيانُ حالِ الملائكةِ في جملةِ أحوالِ يومِ القيامةِ

ويحتملُ أنْ تكونَ الواوُ للاستئنافِ[3]، والجملةُ مستأنفةٌ؛ للدَّلالةِ على حالٍ مِن أحوالِ القيامةِ، يستحقُّ أن يكونَ مستقلًّا بالإخبارِ بهِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالرُّؤيةِ في قوله: ﴿وَتَرَى﴾:

افتُتِحَ قولُهُ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ بفعلِ الرُّؤيةِ البصريَّةِ[4]؛ للإشارةِ إلى أنَّ الرّائيَ يرَى أمرًا غريبًا لم يتوقَّعْ أنْ يراهُ، وهو مشهدٌ مِنْ أعظمِ مشاهدِ الجلالِ، وقد جرَتْ عادةُ القرآنِ الكريمِ بأنْ تأتيَ هذهِ الصّيغةُ في المشاهدِ الغريبةِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: 28]، وقولِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: 93]، وقولِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: 30]، ومَشاهدُها في الدُّنيا

مشهدُ الملائكةِ الحـافّـينَ مِـن حـولِ الـعـرشِ مشهدٌ غريبٌ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 125، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 8/ 604.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 74.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 449.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 25/ 101.

مَشاهدُ تحتاجُ إلى مزيدٍ مِنَ اليقَظةِ والتَّدبُّرِ والاعتبارِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [فاطر: 12][1].

سرُّ التَّعبيرِ بالرُّؤيةِ دونَ غيرِها:

أعلى درجاتِ المشاهَدةِ الرُّؤيةُ

عُبِّرَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ بالرُّؤيةِ دونَ النَّظرِ والبصرِ؛ للدَّلالةِ على حصولِ المشاهَدةِ وتحقُّقِها عن قُرْبٍ ودُنوٍّ، بخلافِ النَّظرِ والبصرِ اللَّذينِ لا يلزمُ منهما حصولُ الرُّؤيةِ؛ إذ قد ينظرُ النّاظرُ إلى الشَّيءِ، ولا يُدرِكُهُ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿وَتَرَى﴾:

استمرارُ تسبيحِ الملائكةِ وحمدِهم

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَى﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ الرُّؤيةِ واستمرارِها، وفي ذلكَ تنبيهٌ على استمرارِ اجتماعِ الملائكةِ حولَ العَرْشِ، واستمرارِ التَّسبيحِ والحمدِ والتَّنزيهِ، وفيه إشعارٌ بقُربِ الرّائي وعلوِّ منزلته، حتى إنَّه لا يُفارقُ ذلك المَنظرَ المَهيب، وفي صيغةِ المضارعِ أيضًا استحضارٌ لصورةِ هذا الحدثِ المستقبليِّ، وكأنَّهُ يقعُ في زمنِ الخطابِ، وفي ذلكَ تنبيهٌ على تحقُّقِ الوقوعِ وتيقُّنِهِ.

تعيينُ المخاطَبِ بـ ﴿وَتَرَى﴾:

عظمةُ النَّبيِّ ﷺ وعُلوُّ منزلتِهِ

يحتملُ أنْ يكونَ الخطابُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾؛ للنَّبيِّ ﷺ، أي: وترَى يا محمَّدُ الملائكةَ[2]، وفي ذلكَ تنبيهٌ على تكريمِ اللهِ لهُ ﷺ؛ إذ بلغَ مِن رِفعةِ المقامِ عندَ ربِّهِ وعُلوِّ المنزلةِ أنَّهُ دنا حتَّى حواهُ موكبُ الملائكةِ الَّذينَ حولَ العرشِ، فيراهُم ببصرِهِ، ويطَّلعُ على تسبيحِهم وتمجيدِهم للهِ تعالى[3].

ثمَّ هذا الخطابُ ممّا يُرَدُّ بهِ العَجُزُ على الصَّدرِ؛ لأنَّ السّورةَ

(1) أبو موسى، الزمر ومحمد وعلاقتهما بآل حم، ص: 495.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 343.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 74.

خُتِمَتْ بخطابِهِ ﷻ خطابَ كرامةٍ، كما افتُتِحَتْ بخطابِهِ خطابَ كرامةٍ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: 2]، فأوَّلُ السّورةِ إكرامٌ بنزولِ الكتابِ، وبدعوتِهِ ﷻ إلى إخلاصِ العبادةِ، وآخرُها إكرامٌ بالحضرةِ والشُّهودِ عندَ العرشِ ورؤيةِ الملائكةِ حافّينَ حولَهُ[1].

تكريمُ اللهِ للمؤمنينَ أهلِ الجِنانِ

ويحتملُ أنْ يكونَ الخطابُ عامًّا لكلِّ مَنْ تتأتَّى منهُ الرُّؤيةُ[2]، مِنَ المؤمنينَ، أي: وترى أيُّها الرّائي الملائكةَ إلخ...[3]؛ إذ يبلغونَ من علوِّ المنزلة في الجِنانِ أنَّهم يرونَ الملائكةَ الحافّينَ بالعرش، فيكونُ مصداقًا لقوله تعالى قبلُ: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: 74]، فيكونُ الإضمارُ دالًّا على العموم؛ حتى إنَّه ليتأتَّى لكلِّ ناظرٍ إليه بمجرَّدِ الرُّؤيةِ والإقبالِ للمُشاهدة، والمرادُ تكريمُ أهلِ الجنَّةِ بأنَّ مَنْ أرادَ منهُم رؤيةَ الملائكةِ حافّينَ مِنْ حولِ العرشِ يكونُ لهُ ذلكَ[4].

نكتةُ التَّعريفِ بـ(أل) في: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾:

المحيطونَ بالعرشِ في حالةِ استغراقٍ بالتَّنزيهِ

تحتملُ (أل) التَّعريفيَّةُ الواردةُ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ أنْ تكونَ للجنس، فتفيدُ رؤيةَ هذه الحقيقةِ المتميِّزةِ عن حقيقةِ الإنسِ والجنِّ، الَّذينَ سيقوا إلى النّارِ والجنَّة، والغرضُ من ذكرِ تلك الحقيقة بيانُ وظيفتِها الَّتي لا تنفكُّ تصدرُ عنها من تسبيحٍ وتمجيدٍ وتقديسٍ للّه تعالى، ويحتملُ أنْ تكونَ (أل) للاستغراق والشُّمول؛ فتفيد أنَّ جميع الملائكةِ مُنشغلونَ بتعظيمِ اللّه تعالى، وينتظرونَ منه أيَّ أمرٍ ليقوموا به، ويحتملُ أنْ تكون (أل) للعهدِ الخارجيِّ، فيكون الاختصاص بنوعٍ من الملائكةِ الّذين هم يُحدقونَ بالعرشِ مُسبِّحينَ ومُعظِّمين للّه تعالى، كما يحتملُ أنْ تكونَ للعهد

(1) أبو موسى، الزمر ومحمد وعلاقتهما بآل حم، ص: 495.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 590.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 289.
(4) أبو موسى، الزمر ومحمد وعلاقتهما بآل حم، ص: 495.

الذِّهنيِّ الصّادق بنوعٍ غيرِ معيَّنٍ من الملائكة، وهم الحافّونَ بالعرش دونَ مَن سِواهم، ولعلَّ دلالةَ العهدِ الخارجيِّ أولى مِن غيرها؛ إذ للعرشِ ملائكةٌ جلُّ همِّهم التَّسبيحُ والتَّنزيهُ للمَولى الجليلِ تعالى، بقي أنَّ إيرادَ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بصيغةِ الجمع المعرَّف بـ(أل) دالٌّ على الشُّمول لجميعِ أولئك الملائكةِ المخصوصينَ بالإحداقِ بالعرش، والإحاطةِ به تسبيحًا وتمجيدًا لله تعالى.

بلاغةُ التَّعبير بالحالِ في: ﴿حَآفِّينَ﴾:

حفوفُ الملائكةِ بالعرشِ حُفوفُ تعظيمٍ

انتصبَ ﴿حَآفِّينَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ على الحاليَّة[1] مِنَ المفعولِ بهِ؛ لوصفِ هيئةِ الملائكةِ عندَ تعلُّقِ الرُّؤيةِ بهم؛ إذ الحالُ وصفٌ لصاحبِه، كما أنَّهُ قيدٌ لعاملِه، أي: عندَ تعلُّقِ الرُّؤيةِ بهم يكونونَ في حالةِ إحاطةٍ وطوافٍ بجوانبِ العرشِ وجهاتِه المُترامية الأطراف، وفي ذلكَ تنبيهٌ على كثرةِ خلقِه تعالى وعِظَمِ مَلكوتِه، وذلكَ أنَّ عرشَهُ أعظمُ المخلوقاتِ، ومعَ ذلكَ خلقَ ملائكةً يحفّونَ به[2]، وفي تقييدِ فعلِ الرُّؤيةِ بهذهِ الهيئةِ دلالةٌ على استمرارِ الملائكةِ على الطَّوافِ بجوانبِ العرشِ وجهاتِه، وأنَّهم لا ينفكّونَ عن التَّنزيهِ والتَّسبيحِ والتَّعظيمِ للهِ تعالى، فكلَّما تعلَّقَ فعلُ الرُّؤيةِ بهم يكونونَ على تلكَ الهيئةِ العظيمةِ.

نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿حَآفِّينَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ المجموعِ في قولِه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾؛ لدلالةِ هذهِ الصّيغةِ على الثَّباتِ، ففيها تنبيهٌ على ثبوتِ الحفِّ ودوامِه، كما هو مقتضَى مقامِ التَّعظيمِ.

العجزُ عن الإحاطةِ تصويرٌ بليغٌ لعظمةِ العرشِ

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ حَوْلِ﴾:

اختُلِفَ في معنى ﴿مِنْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 449.
(2) السمين، عمدة الحفاظ: 1/ 433.

مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾، فذهبَ بعضُهم إلى أنَّها صلةٌ للتَّوكيدِ[1]، وأنَّ المرادَ أنَّهم يحفّونَ حولَ العرشِ، وهو قولٌ ضعيفٌ[2]؛ لأنَّ المطَّردَ زيادةُ (مِنْ) في النَّفي دونَ الإثباتِ، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّها أصليَّةٌ للتَّبعيضِ، والمعنى: أنَّ الملائكةَ معَ كثرتِهم لا يملؤونَ حولَ العرشِ[3]، والظّاهرُ أنَّها أصليَّةٌ للابتداءِ، والمعنى: أنَّ الحفَّ يبدأُ مِن جوانبِ العرشِ إلى حيثُ شاءَ اللّهُ، وفي ذلكَ دلالةٌ على كثرةِ الملائكةِ، ولذا ذُكِرَ الابتداءُ دونَ الانتهاءِ[4].

بلاغةُ الموقعِ الإعرابيِّ لـ ﴿مِنْ حَوْلِ﴾:

كثرةُ زُمَرِ الملائكةِ حولَ العرشِ

الجارُّ والمجرورُ في قولِه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ إمّا في محلِّ نصبٍ على الحاليَّةِ، والتَّقديرُ: مستقرّينَ مِنْ حولِ العرشِ، وفي توالي الحالَينِ المفردِ وشبهِ الجُملةِ دلالةٌ على الاهتمامِ بوصفِ زُمَرِ الملائكةِ الَّذينَ شأنُهم الإحاطةُ بجوانبِ العرشِ على سبيلِ الاستقرارِ، وفي ذلكَ تنبيهٌ على القُرْبِ والتَّعظيمِ لذلكَ الحَرَمِ العظيمِ، وإمّا ظرفٌ لغوٌ متعلِّقٌ باسمِ الفاعلِ (حافّينَ)، أو بـ (ترى)[5]؛ لتحديدِ مكانِ الحفِّ أو مكانِ الرُّؤيةِ.

نكتةُ التَّعريفِ بـ (أل) في قوله: ﴿ٱلْعَرْشِ﴾:

عرشُ اللهِ تعالى هو المرادُ عندَ الإطلاقِ

تعريفُ العرشِ في قولِه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ للعهدِ العلميِّ؛ لأنَّ العرشَ في الأصلِ يدلُّ على سريرِ المَلِكِ والبناءِ العالي والسَّقفِ المرتفعِ ونحوِ ذلك، ثمَّ صارَ علَمًا على عرشِ اللّهِ ﷻ على الاختلافِ في المرادِ بهِ، فإذا أُطلِقَ في القرآنِ؛ فلا يتبادرُ إلى الذِّهنِ غيرُهُ.

(1) الأخفش، معاني القرآن: 2/ 497، وابن جرير، جامع البيان: 20/ 272.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 544.
(3) القنوجي، فتح البيان: 12/ 154.
(4) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 196.
(5) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 17.

بلاغةُ الحالِ في ﴿يُسَبِّحُونَ﴾:

الملائكةُ مستغرقونَ بالتَّعظيمِ والتَّسبيحِ

جملةُ: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ﴾ حالٌ ثانيةٌ[1]، تفيدُ بيانَ هيئةٍ أُخرى للملائكةِ، أي: تراهُم حافّينَ ومُسبِّحينَ على هيئةِ الجمعِ بينَ الأمرينِ أو التَّفريقِ بينَهما، وتُسمَّى الحالَ المترادفةَ، ويحتملُ أنْ تكونَ الحالُ متداخلةً بمعنى أنَّ الجملةَ حالٌ مِنَ الضَّميرِ المُستترِ في ﴿حَآفِّينَ﴾[2]، والغرضُ مِنْ ذلكَ تقييدُ ذلكَ الحُفوفِ بهيئةِ التَّسبيحِ والتَّنزيهِ للّهِ تعالى[3]، والمعنى: تراهُم حافّينَ مُتلبِّسينَ عندَ حُفوفِهم بالتَّنزيهِ، وأيًّا ما كانَ؛ فالمرادُ بيانُ تذلُّلِ الملائكةِ للّهِ تعالى، فتسبيحُهم للتَّذلُّلِ لا على سبيلِ التَّكليفِ بالعبادةِ[4].

اللهُ تعالى غنيٌّ عن كلِّ شيءٍ

وهنالكَ إشارةٌ أُخرى للحالِ، وهي أنَّهُ لمّا كانَ ربَّما وقعَ في وهمِ أنَّهُ ﷻ محتاجٌ إلى حملِ الملائكةِ للعرشِ أو إلى العرشِ أو إلى شيءٍ؛ نُبِّهَ بالتَّسبيحِ على أنَّهُ متنزِّهٌ عن ذلكَ، وغنيٌّ عن كلِّ شيءٍ[5].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يُسَبِّحُونَ﴾:

الملائكةُ مواظبونَ على تسبيحِ اللهِ تعالى

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِه تعالى شأنُهُ: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ للتَّنبيهِ على صدورِ التَّسبيحِ مِنَ الملائكةِ على سبيلِ التَّجدُّدِ والاستمرارِ، وفي ذلكَ ما لا يخفى مِنَ التَّنبيهِ على استغراقِهم في تعظيمِ اللّهِ ﷻ[6].

دلالةُ التَّسبيحِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ:

الظّاهرُ أنَّ التَّسبيحَ في قولِه تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ على حقيقتِه، وأنَّ الملائكةَ يقولونَ: سُبحانَ اللّهِ؛ والفعلُ حكايةٌ لأقوالِهم الَّتي تتردَّدُ منهُم، وتُسمَعُ مِنْ قِبَلِهم.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 290.
(2) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 16/ 557.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 50.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 147.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 12.
(6) القشيري، لطائف الإشارات: 3/ 293، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 591.

الملائكةُ يصلّونَ شكرًا للهِ تعالى

ويحتملُ أنْ يكونَ التَّسبيحُ مجازًا مرسَلًا، أُريدَ بهِ الصَّلاةُ، أي: يُصلّونَ حولَ عرشِ اللهِ شُكرًا لَهُ[1]. وأيًّا ما كانَ ففي ذلكَ حثٌّ للرّائي على الاقتداءِ بالملائكةِ الملازمينَ للتَّسبيحِ والتَّنزيهِ، أو الصَّلاةِ.

غرضُ تقديمِ التَّسبيحِ على الحمدِ:

التَّخليةُ مقدَّمةٌ على التَّحليةِ

قُدِّمَ التَّسبيحُ على الحمدِ في قولِهِ تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ لأنَّهُ تخليةٌ، والتَّخليةُ مقدَّمةٌ على التَّحليةِ[2]؛ إذ التَّسبيحُ تنزيهُ للهِ تعالى عن الشَّريكِ والنَّظيرِ، والتَّحميدُ والثَّناءُ تحليةٌ لهُ تعالى بكلِّ نعوتِ الكمالِ والجمالِ والجلالِ.

معنى الباءِ في ﴿بِحَمْدِ﴾:

التَّسبيحُ والحمدُ قرينانِ

الباءُ في قولِهِ تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ للمُلابَسةِ، وهي تتعلَّقُ بـ ﴿يُسَبِّحُونَ﴾[3]، فتفيدُ أنَّ الملائكةَ يقولونَ عباراتِ التَّسبيحِ الممتزجةِ بعباراتِ التَّحميدِ للهِ تعالى والثَّناءِ عليهِ، بالألفاظِ المشعرةِ بذلكَ؛ كأنْ يقولوا: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ، أو: سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ[4]، وفي ذلكَ ربطٌ بينَ التَّسبيحِ والتَّحميدِ، حتَّى كأنَّهما متقارنانِ معًا في النُّطقِ، وإنْ كانَ بينَهما ترتُّبٌ في الواقعِ.

نكتةُ إضافةِ الحمدِ إلى الرَّبِّ:

استغراقُ الملائكةِ في صفاتِ الحقِّ سبحانَهُ

أفادَتْ إضافةُ الحمدِ إلى الرَّبِّ في قولِهِ ﷻ: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ تعليلَ صدورِ ذلكَ الحمدِ مِنَ الملائكةِ؛ إذ الرَّبُّ يستحقُّ الحمدَ والثَّناءَ لإحسانِهِ إلى خَلْقِهِ، فيكونُ في الكلامِ تعليقٌ للحُكمِ بعلَّتِهِ؛ للبرهنةِ على صحَّتِهِ وصدْقِهِ، والإضافةُ مِنْ إضافةِ المصدرِ إلى مفعولِهِ، والفاعلُ معلومٌ يدلُّ عليهِ الواوُ في ﴿يُسَبِّحُونَ﴾، وفي ذلكَ إشعارٌ بأنَّ مُنتهَى درجاتِ الملائكةِ وأعلى لذائذِهم هو الاستغراقُ في صفاتِ الحقِّ[5].

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 343.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 591.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 21/ 343، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 74.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 147.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 50.

غرضُ التَّعبيرِ بالرَّبِّ مضافًا إلى ضميرِهم:

القُربُ مِنَ العرشِ مِن درجاتِ العبوديَّةِ

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظِ الرَّبِّ مُضافًا إلى ضميرِ المُسبِّحينَ في قولِهِ تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ إعلامًا بأنَّ الكلَّ عبيدُهُ، وتحتَ تصرُّفِهِ، وللدَّلالةِ على استحقاقِهِ تعالى الحمدَ، فهو السَّيِّدُ الَّذي يُربّي الأشياءَ، ويُبلِّغُها كمالَها على سبيلِ التَّدريجِ، وللإيماءِ إلى أنَّ قُربَهم مِنَ العرشِ ترفيعٌ في مقامِ العبوديَّةِ الملازمةِ للخلائقِ[1]، وفي ذلكَ أيضًا مدحٌ للمسبِّحينَ بالمواظبةِ على التَّسبيحِ والتَّلذُّذِ بذكرِ المُحسِنِ ﷻ[2].

بلاغةُ عطفِ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾:

محكمةُ القيامةِ لا ظلمَ فيها

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾؛ لعطفِ هذهِ الجملةِ على جملةِ: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾، وفيها تأكيدٌ لِما سبقَ في قولِهِ: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: 69][3]، ببيانِ أنَّ الحكمَ بينَ العبادِ - حتَّى آلَ أمرُ المؤمنينَ إلى الجنَّةِ، وأمرُ الكافرينَ إلى جهنَّمَ - عدلٌ وحقٌّ ثابتٌ، فأفادَ التَّكرارُ نفيَ كلِّ شكٍّ في عدالةِ محكمةِ القيامةِ.

عمومُ القضاءِ يومَ القيامةِ

ويحتملُ ألّا تكونَ الجملةُ تكرارًا لِما سبقَ، والمرادُ بالقضاءِ: القضاءُ بينَ الملائكةِ بالحقِّ، وذلكَ إذا كانتِ الآيةُ تستقصي أحوالَ يومِ القيامةِ، وأنَّهُ قضاءٌ بينَ مَن دخلوا في النَّفختينِ مِنَ الإنسِ والملائكةِ، وأنَّ القضاءَ يعني: إعطاءَ كلِّ مَلَكٍ حقَّهُ، وأنَّهُ كانَ لكلِّ عملٍ لا يتخطّاهُ، وأنَّهم ليسوا سواءً في العملِ، فليسوا سواءً في الأجرِ[4]، فقالَ البيضاوي: "قضي بين الخلق بإدخال بعضهم النّار وبعضهم الجنَّة، أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم"[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 74.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 567.
(3) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 196، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 74.
(4) أبو موسى، محمد والزمر وعلاقتهما بآل حم، ص: 493.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 50.

سرُّ التَّعبيرِ بالقضاءِ دونَ الحكمِ:

لا رادَّ لقضاءِ الله تعالى وحُكمِهِ

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالقضاءِ دونَ الحكمِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ للدَّلالةِ على الإحكامِ والإتقانِ في الحكمِ، مع صِدْقِ الحكمِ ووضوحِهِ، وصفاءِ بُرهانِهِ ونَصاعةِ حُجَجِهِ، مع كونِ الحُكمِ الصّادرِ باتًّا قاضيًا لا يحتملُ نَقْضًا ولا مُراجعةً؛ لأنَّهُ صادرٌ مِنَ الحكيمِ الخبيرِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿وَقُضِيَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِه سبحانَهُ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ هذا القضاءَ، وإنْ لم يقعْ بعدُ؛ فهو متحقِّقٌ يقينًا؛ لأنَّهُ إخبارُ ذي العظمةِ والجلالِ الَّذي لا خُلْفَ في إخبارِهِ.

نكتةُ بناءِ ﴿وَقُضِيَ﴾ للمفعولِ:

القضاءُ يومَ الدّينِ للهِ وحدَهُ

اختيرَتْ صيغةُ المبنيِّ للمفعولِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ للعلمِ بالفاعلِ، وهو اللهُ ﷻ، فلا يُحتاجُ إلى التَّصريحِ بهِ؛ إذ هو المالكُ والمتصرِّفُ والحاكمُ في ذلكَ اليومِ، وفي ذلكَ مِن تعظيمِهِ تعالى وتفخيمِ قضائِهِ ما لا يخفَى.

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ ﴿بَيْنَهُم﴾:

محكمةُ القيامةِ محكمةُ عدلٍ وإنصافٍ

ظرفُ المكانِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ نائبٌ عن الفاعلِ أو مُتعلِّقٌ بـ (قُضيَ)، ونائبُ الفاعلِ مصدرٌ مفهومٌ مِنَ الفعلِ، أي: قُضيَ القضاءُ بينَهم[1]، وفي التَّعبيرِ بالبينِ دلالةٌ على تحديدِ جهةِ وقوعِ القضاءِ بينَ النّاسِ، وأنَّ القاضيَ لا يميلُ إلى جهةٍ دونَ أخرى، بل يتحرَّى العدلَ والإنصافَ، فيقتصُّ مِنَ الظّالمِ، ويُنصِفُ المظلومَ.

مرجعُ الضَّميرِ في ﴿بَيْنَهُم﴾:

القضاءُ بينَ الخلائقِ يومَ القيامةِ

يجوزُ أن يرجعَ الضَّميرُ المجرورُ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ إلى البشرِ، والقضاءُ بينَهم يكونُ بإدخالِ بعضِهم

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 25/ 101.

النّارَ، وإدخالِ بعضِهم الجنَّةَ، ويجوزُ أنْ يرجِعَ إلى الملائكةِ؛ بناءً على أنَّ ثوابَهم - وإن كانوا مَعصومينَ جميعًا - لا يكونُ على سَنَنٍ واحدٍ، ولكن يُفاضَلُ بينَ مراتبِهم على حسَبِ تفاضلِهم في أعمالِهم، فهو القضاءُ بينَهُم بالحقِّ[1]، ويجوزُ أنْ يعودَ إلى البشرِ والملائكةِ جميعًا، والقضاءُ بينَهم هو إنزالُ البشرِ منازلَهم مِنَ الجنَّةِ أو النّارِ، وإنزالُ الملائكةِ حولَ العرشِ[2].

معنى الباءِ في ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾:

الباءُ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ للملابسةِ، وهي تفيدُ في أصلِ معناها الإلصاقَ، فدلَّ ذلكَ على أنَّ القضاءَ فيما بينَهم مُلتبِسٌ بالحقِّ ومُلتصِقٌ بهِ، وفي ذلكَ إظهارٌ لمكانةِ الحقِّ في مقامِ القضاءِ وإعطاءِ الحقوقِ؛ إذ الحكمُ بلا عدلٍ ولا حقٍّ ظُلمٌ مَحْضٌ، وعاقبةٌ وخيمةٌ.

القضاءُ بلا عدلٍ ظلمٌ مَحْضٌ

نكتةُ تعريفِ الحقِّ:

تعريفُ الحقِّ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ للجنسِ، وفيهِ دلالةٌ على كمالِ الحقِّ وتمامِهِ، وكأنَّ ماهيَّةَ الحقِّ بكمالِهِ متحقِّقةٌ في ذلكَ القضاءِ الكاملِ، ولا حقَّ في غيرِهِ.

بلاغةُ الموقعِ الإعرابيِّ لـ ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾:

الجارُّ والمجرورُ في قولِهِ تعالى: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ متعلِّقانِ بحالٍ محذوفةٍ، والتَّقديرُ: مُلتبِسًا بالحقِّ، والغرضُ مِنَ الحالِ تقييدُ فعلِ القضاءِ بكونِهِ مُمتزِجًا بالحقِّ في جميعِ أجزائِهِ، حتَّى لا يخلوَ في أيِّ صورةٍ مِنْ صوَرِهِ عن كونِهِ متداخلًا بالحقِّ الثّابتِ والعدلِ الرّاسخِ.

الحقُّ مصاحبٌ قضاءَ اللهِ

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

عُبِّرَ بالحقِّ في قولِهِ تعالى هنا: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾، وعُبِّرَ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 147، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 50.
(2) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 17.

بالقِسْطِ في قولِهِ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: 54]؛ لأنَّ السّياقَ هنا عامٌّ في التَّرغيبِ والتَّرهيبِ عَدلًا وفَضلًا، فقيلَ: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، بأن طوبِقَ الواقعُ بما أنزَلْنا فيهِم في الكتبِ الَّتي وضَعناها لحسابِهم، فمَنْ طغَى منهُم أسكنّاهُ لَظَى بعَدْلِنا، ومَنِ اتَّقى نعَّمناهُ في جنَّةِ المأوَى بفضلِنا[1]، وأمّا سياقُ سورةِ يونُسَ ﷺ؛ فليسَ كذلكَ، فعُبِّرَ فيهِ بالقِسْطِ - أي: العدلِ - لا بالحقِّ الشّاملِ للعدلِ والفضلِ.

الحقُّ هنا شاملٌ للعدلِ والفضلِ

دلالةُ الواوِ في ﴿وَقِيلَ﴾:

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ على ما قبلَها عطْفَ ترتُّبٍ وتسبُّبٍ؛ فإنَّ مِن دواعي الحمدِ القضاءَ بينَ الخلائقِ بالحقِّ، وما يتضمَّنُهُ هذا القضاءُ مِن دخولِ أهلِ الحقِّ الجنَّةَ ودخولِ أهلِ الباطلِ النّارَ، فيصدحُ أهلُ الحقِّ بحمدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ، ويجوزُ أنْ تكونَ الجملةُ توكيدًا لجملةِ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: 74].

الحَكَمُ العادلُ يستحقُّ الشُّكرَ والثَّناءَ

ويجوزُ أنْ تكونَ حكايةَ قولٍ آخرَ لقائلينَ مِنَ الملائكةِ والرُّسُلِ وأهلِ الجنَّةِ، فهو أعمُّ مِنَ القولِ المتقدِّمِ الَّذي هو قولُ المَسوقينَ إلى الجنَّةِ مِنَ المتَّقينَ، فهذا قولُهم يحمدونَ اللّهَ على عدلِ قضائِهِ وجميعِ صفاتِ كمالِهِ[2].

نكتةُ صيغةِ الماضي في ﴿وَقِيلَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ هذا القولَ - وإنْ لم يقعْ بعدُ - واقعٌ - لا محالةَ - كما هو شأنُ كلِّ ما أخبرَ بهِ اللّهُ تعالى.

نكتةُ بناءِ ﴿وَقِيلَ﴾ للمفعولِ:

يحتملُ أنْ يكونَ بناءُ الفعلِ للمفعولِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 572.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 74.

الكونُ كلُّهُ ناطقٌ بحمدِ اللهِ بعد القضاء بين الخلائق

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ جميعَ المخلوقاتِ قد نطقَتْ للهِ ربِّ العالمينَ بالحمدِ في حُكمِهِ وعدلِهِ؛ ولهذا لم يُسنَدِ القولُ إلى قائلٍ[1]، ويحتملُ أنْ يكونَ القائلُ العبادَ المقضيَّ بينَهم، وتكريرُ الحمدِ لإناطةِ معنًى زائدٍ بهِ؛ لأنَّ الأوَّلَ للتَّفضيلِ بينَ الفريقينِ بحسَبِ السُّخطِ والرِّضوانِ، والثّاني للتَّفرقةِ بينَهما بحسَبِ الأبدانِ: فريقٌ في الجنَّةِ، وفريقٌ في النّارِ، فتكونُ الآيةُ كالتَّتميمِ بالنِّسبةِ إلى الأولى في إتمامِ القضاءِ، كما يحتملُ أنْ يكونَ القائلُ الملائكةَ، والجملةُ كالتَّكميلِ؛ لأنَّ ذلكَ القضاءَ في حقِّ بني آدمَ، وهذا في حقِّ الملائكةِ[2]، والمقصودُ مِن هذا الإبهامِ التَّنبيهُ على أنَّ خاتمةَ كلامِ العُقَلاءِ في الثَّناءِ على اللهِ تعالى هي أن يقولوا: الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3]، ويحتملُ أنْ يكونَ القائلُ هم المؤمنينَ فقط، وعدمُ ذكرِهم لتعيُّنِهم وتعظيمِهم[4].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّةِ:

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على الثُّبوتِ والدَّوامِ؛ إذ اللّائقُ بمقامِ فضِّ الخصوماتِ إلى الأبدِ وانتزاعِ الحقِّ الدّائمِ أنْ يكونَ الحمدُ ثابتًا؛ ليضارعَ الحمدُ دوامَ نعمةِ الحقِّ العائدِ إلى أهلِهِ وأصحابِهِ.

الحمدُ ثابتٌ للهِ على الدَّوامِ

نكتةُ تعريفِ الحمدِ:

تعريفُ الحمدِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ للجنسِ الدّالِّ بمعونةِ مقامِ المدحِ على الاستغراقِ الكلّيِّ[5]، فتكونُ جميعُ أفرادِ الحمدِ ثابتةً للهِ ربِّ العالمينَ؛ إذ مَرَدُّ جميعِ النِّعَمِ إليهِ، ومنها نعمةُ القضاءِ بالحقِّ.

جميعُ أفرادِ الحمدِ للهِ تعالى

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 125.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 147، والطيبي، فتوح الغيب: 13/ 449 - 450.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 481.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 50.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 572.

معنى اللّامِ في ﴿لِلَّهِ﴾:

لا يستحقُّ الحمدَ والثَّناءَ إلّا اللهُ تعالى

اللّامُ الجارَّةُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ للاستحقاقِ والاختصاصِ، فتفيدُ أنَّ جميعَ أفرادِ الحمدِ مُختصَّةٌ باللهِ تعالى ومُستحَقَّةٌ لهُ، وتفيدُ أيضًا بمعونةِ لامِ الجنسِ في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ قصرَ جميعِ أفرادِ الحمدِ على اللهِ تعالى.

نكتةُ التَّعبيرِ باسم الجلالةِ:

عُبِّرَ باسم الجلالةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّ هذا الاسمَ جامعٌ لجميعِ صفاتِ الجلالِ والكمالِ الَّتي ينفردُ بها الإلهُ الحقُّ[1].

بلاغةُ الوصفِ بالرُّبوبيَّةِ دونَ غيرِها:

الـرَّبُّ هو المستحِقُّ للحمدِ

جيءَ بوصفِ الرَّبِّ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لدلالتِهِ على المدحِ والتَّعظيمِ، وملاءمتِهِ للفظِ الجلالةِ؛ إذ لفظُ الجلالةِ خاصٌّ بهِ تعالى، وكذلكَ كونُهُ ربَّ العالمينَ، ولمّا كانَ ذلكَ اليومُ أحقَّ الأيّامِ بمعرفةِ شمولِ الرُّبوبيَّةِ لاجتماعِ الخلائقِ وانفتاحِ البصائرِ؛ وُصِفَ سبحانَهُ بأقربِ الصِّفاتِ إلى الاسمِ الأعظمِ، أي: الَّذي ابتدأهم أوَّلًا مِنَ العدمِ، وأقامَهم ثانيًا بما ربّاهم بهِ مِنَ التَّدبيرِ[2]، وفي التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ أيضًا تعليلٌ لاستحقاقِهِ تعالى الحمدَ، والمعنى: الحمدُ مقصورٌ على اللهِ، ومستحَقٌّ لهُ؛ لأنَّهُ ربُّ جميعِ العالَمينَ وخالقُ أفعالِهم والمُتصرِّفُ في ملكوتِهِ كما يريدُ.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

اشتهارُ اللهِ بكونِهِ ربَّ العالمينَ

إضافةُ الرَّبِّ إلى العالمينَ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ للتَّعريفِ العهديِّ؛ إذ عُهِدَ أنَّ اللهَ تعالى هو ربُّ العالمينَ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 572.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 573.

ولا يُطلَقُ هذا التَّركيبُ الإضافيُّ على غيرِهِ تعالى، وفي هذهِ الإضافةِ إشعارٌ بافتقارِ العالمينَ إلى ربوبيَّتِهِ سبحانَهُ.

نكتةُ تعريفِ العالَمينَ:

الرُّبوبيَّةُ الشّاملةُ إثباتٌ لاختصاصِ الحمدِ بهِ تعالى

تعريفُ العالَمينَ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ للاستغراقِ والشُّمولِ؛ إذ ما مِنْ عالَمٍ إلّا وهو خالقُهُ وسيِّدُهُ والمُتصرِّفُ فيهِ، وفي ذلكَ ملاءمةٌ لقصرِ الحمدِ على اللّهِ تعالى؛ إذ ربوبيَّتُهُ لجميعِ العوالمِ تعني: استحقاقَهُ وحدَهُ للحمدِ، وفي ذلكَ أيضًا ردٌّ على مَنِ اعتقدَ مشاركةَ غيرِهِ لهُ بالخالقيَّةِ، واعتقدَ النَّفعَ والضُّرَّ ممَّنْ سواهُ.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

الخلائقُ كلُّها دليلٌ على الخالقِ سبحانَهُ

عبَّرَ النَّظمُ بلفظِ العالَمينَ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّهُ دالٌّ على جميعِ المخلوقاتِ والمصنوعاتِ، وإنَّما سُمِّيَتْ بالعالَمينَ؛ لأنَّها علاماتٌ على وجودِ الخالقِ والرَّبِّ ﷻ؛ إذ المصنوعاتُ العجيبةُ دليلٌ على وجودِ الصّانعِ الحكيمِ، وعلى أنَّهُ ربُّها القائمُ بشؤونِها والمُتصرِّفُ فيها إيجادًا وإعدامًا.

سرُّ التَّعبيرِ بالعالَمينَ دونَ العوالمِ:

تغليبُ العُقَلاءِ على غيرِهم

عُبِّرَ بالعالَمينَ دونَ العوالمِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ تغليبًا للعُقَلاءِ على غيرِهم[1]، ولأنَّ العالَمينَ جمعُ قلَّةٍ، والعوالمَ جمعُ كثرةٍ، وفي التَّعبيرِ بجمعِ القلَّةِ إشارةٌ إلى أنَّهم وإنْ كَثُروا؛ فهُم قليلٌ في جانبِ عظمتِهِ تعالى وكِبْريائِهِ[2].

بلاغةُ ردِّ عَجُزِ السّورةِ على صَدْرِها:

تكريمُ النَّبيِّ ﷺ في الافتتاحِ والاختتامِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ممّا

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/ 28.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 1/ 57.

يُرَدُّ به العَجُزُ على الصَّدرِ؛ لأنَّ السّورةَ خُتِمَتْ بخطابِهِ ﷺ خطابَ كرامةٍ، كما بُدِئَتْ بخطابِهِ ﷺ خطابَ كرامةٍ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: 2]، فرأسُ السّورةِ إكرامٌ بنزولِ الكتابِ، وإكرامٌ بدعوتِهِ ﷺ إلى إخلاصِ العبادةِ، وآخرُها إكرامٌ بالشُّهودِ عندَ العرشِ ورؤيةِ الملائكةِ حافّينَ حولَهُ[1].

تنزيلُ الكتابِ مِن أجلِّ النِّعَمِ الَّتي تستوجبُ الحمدَ

ولأنَّ السّورة صُدِّرَتْ بالإخبارِ بتنزيلِ الكتابِ، وخُتِمَتْ باستحقاقِ الحمدِ على تنزيلِهِ؛ تنبيهًا على أنَّ إنزالَهُ مِنْ أعظمِ نِعَمِهِ تعالى؛ لأنَّهُ الهادي إلى ما فيهِ كمالُ العبادِ، والدّاعي إلى ما بِهِ ينتظمُ صلاحُ المَعاشِ والمَعادِ[2].

الإخلاصُ للهِ تعالى أساسُ العبادةِ وسرُّ السَّعادةِ

وشيءٌ آخرُ في علاقةِ مقطعِ السّورةِ بمطلعِها، وهو أنَّ مطلعَ السّورةِ لمّا أوجزَ المقصودَ منها - وهو إخلاصُ العبادةِ للهِ ربِّ العالمينَ - ذكرَ الَّذينَ اتَّخذوا مِن دونِهِ أولياءَ، ثمَّ أعقبَ ذلكَ بالإخبارِ بأنَّ اللهَ يحكمُ بينَهم فيما هم فيهِ يختلفونَ، وآخرَ السّورةِ مِن أوَّلِ قولِهِ: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: 69] إلى قولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ هو الحُكمُ الَّذي جاءَ في أوَّلِها[3].

❁ الفروقُ المعجميَّةُ:

الحفُّ والإحاطةُ:

الحفُّ: إحاطةُ الكمِّ الكثيرِ بالشَّيءِ مِن جميعِ جوانبِهِ، بخلافِ الإحاطةِ، فإنَّها لا تدلُّ على كثرةِ المُحيطينَ.

كمالُ السَّكينةِ عندَ الطَّوافِ بالعرشِ

وقد عُبِّرَ بالحفِّ في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾؛ لِما يدلُّ عليهِ هذا اللَّفظُ مِن كثرةِ الملائكةِ وإحاطتِهم

(1) أبو موسى، الزمر ومحمد وعلاقتهما بآل حم، ص: 495.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 591.
(3) أبو موسى، الزمر ومحمد وعلاقتهما بآل حم، ص: 495.

بالعرشِ مِنْ جميعِ جوانبِهِ[1]، كما تحيطُ الحَدقةُ بالعَيْنِ[2]، حتَّى يُسمعَ لهُم صوتٌ بما ذُكِرَ مِنَ التَّسبيحِ والتَّحميدِ، وفي ذلكَ مِنَ التَّعظيمِ والطُّمأنينةِ والسَّكينةِ ما لا تحيطُ بهِ العبارةُ.

الحمدُ والشُّكرُ:

بينَ الحمدِ والشُّكرِ عمومٌ وخصوصٌ مِنْ وجهٍ

الحمدُ أعمُّ مِنَ الشُّكرِ باعتبارِ المُتعلَّقِ، فإنَّهُ يكونُ على النِّعمةِ وغيرِها، بخلافِ الشُّكرِ الَّذي يكونُ في مقابلةِ النِّعمةِ فقطْ، كما أنَّ الحمدَ أخصُّ مِنَ الشُّكرِ باعتبارِ المَوردِ؛ إذ الحمدُ خاصٌّ باللِّسانِ، والشُّكرُ يكونُ باللِّسانِ والقلبِ والفعلِ[3]، وقد عُبِّرَ بالحمدِ هنا؛ لدلالتِهِ على أنَّ الألسنةَ تلهَجُ بحمدِ اللهِ وتسبيحِهِ.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 544، والسمعاني، تفسير القرآن العظيم: 4/ 483.
(2) الشهاب، عناية القاضي: 7/ 354.
(3) التفتازاني، المختصر، ص: 91.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»